Al-Marjān Research Journal
Open Access
Al-Marjān Research Journal
ISSN(E): 3006-0370
ISSN(P): 3006-0362
al-marjan.com.pk

Biographers of the Prophet Influenced by Orientalism: A Critical Analytical Study of Dr. Muhammad Husayn Haykal's Methodology in The Life of Muhammad

كُتَّابُ السيرة المتأثرون بالاستشراق: دراسة تحليلية نقدية في منهج الدكتور محمد حسين هيكل في كتابه "حياة محمد

Authors Details

1. **Prof. Dr. Ikram Ul Haq Al-Azhari** (Corresponding Author)
   Dean, Institute of Islamic Studies, Alhamd Islamic University, Shahpur Barakahu, Islamabad, Pakistan.
   Email: dr.ikramulhaq@aiu.edu.pk

Citation

Al-Azhari,Prof.Dr.Ikram Ul Haq." Biographers of the Prophet Influenced by Orientalism: A Critical Analytical Study of Dr. Muhammad Husayn Haykal's Methodology in The Life of Muhammad."Al-Marjān Research Journal, 3, no.1, Jan-Mar (2025): 75− 93.

Submission Timeline

Received: Jan 08, 2025
Revised: Jan 20, 2025
Accepted: Feb 07, 2025
Published Online: Feb 21, 2025

Publication, Copyright & Licensing

Article QR

Al-Marjān Research Center, Lahore, Pakistan.

All Rights Reserved © 2023.

This article is open access and is distributed under the terms of Creative Commons Attribution 4.0 International License

INDEX COPERNICUS INTERNATIONAL
ISSN INTERNATIONAL STANDARD SERIAL NUMBER INTERNATIONAL CENTRE
HJRS HEC Journal Recognition System

Biographers of the Prophet Influenced by Orientalism: A Critical Analytical Study of Dr. Muhammad Husayn Haykal's Methodology in The Life of Muhammad

كُتَّابُ السيرة المتأثرون بالاستشراق: دراسة تحليلية نقدية في منهج الدكتور محمد حسين هيكل في كتابه "حياة محمد

الأستاذ الدكتور إكرام الحق الأزهري ☆

Abstract

Orientalism has left a significant intellectual footprint in the Muslim world, particularly in the study of the Prophet Muhammad's biography (*Sīrah*). While many Orientalist perspectives are biased or based on inaccurate assumptions, some have attempted objective research. Dr. Muhammad Husayn Haykal (1888–1965), an eminent Egyptian writer, politician, and intellectual educated at the Sorbonne, represents a unique case among modern Muslim scholars who engaged with Orientalist thought. His celebrated work *The Life of Muhammad* (1935) reflects a blend of traditional Islamic scholarship and modern Western historical methods. Haykal sought to approach the Prophet's life through a "scientific method" — detaching himself from preconceived beliefs during analysis — yet he retained essential Islamic convictions, rejecting Orientalist claims such as the denial of revelation or the attribution of epilepsy to the Prophet. Nonetheless, he adopted certain analytical frameworks from Orientalist scholarship, questioning some traditional reports like the incident of *shaqq al-sadr* (splitting of the chest) and emphasizing historical plausibility. This study examines Haykal's biography, political and intellectual background, and his exposure to Western academia. It further analyzes how Orientalist methodologies influenced specific interpretations in *The Life of Muhammad*. By employing a critical-analytical approach, the research distinguishes between Haykal's independent reasoning and direct Orientalist borrowings. It also explores the broader phenomenon of Muslim authors integrating Orientalist perspectives into *Sīrah* literature. Ultimately, the paper argues that while Haykal's methodology incorporated certain Western academic tools, his intellectual independence and rootedness in Islamic belief allowed him to navigate Orientalist claims without fully capitulating to them.

Keywords: Orientalism, Sīrah, Muhammad Husayn Haykal, The Life of Muhammad, Critical Analysis

المقدمة

يُعَدّ الاستشراق من أبرز الظواهر الفكرية التي أثرت على دراسة السيرة النبوية في العصر الحديث، حيث تناول المستشرقون حياة النبي صلى الله عليه وسلم برؤى وأساليب بحثية متأثرة بالخلفية الثقافية والحضارية الغربية. وقد تسربت بعض هذه الرؤى إلى مؤلفات عدد من كتّاب المسلمين، سواء عن وعي أو بدونه، مما جعل

☆ عميد معهد الدراسات الإسلامية، جامعة الحمد الإسلامية، شاه بور بهاره كهو، إسلام آباد، باكستان.

دراسة هذه الظاهرة ضرورة علمية لفهم مسار الكتابة الحديثة في السيرة. ويأتي الدكتور محمد حسين هيكل (1888-1965م) نموذجاً بارزاً لذلك؛ فهو سياسي وأديب ومفكر مصري تلقى تعليمه في جامعة السربون، واكتسب خبرة واسعة في المنهجيات البحثية الغربية. في كتابه "حياة محمد" حاول المزج بين الموروث الإسلامي ومنهج البحث التاريخي الحديث، مما جعله موضع جدل بين العلماء والمثقفين. فقد تبنى بعض أساليب المستشرقين النقدية، خاصة في التحقق من الروايات، وفي الوقت نفسه رفض كثيراً من طعونهم على الوحي والنبي صلى الله عليه وسلم. يهدف هذا البحث إلى دراسة شخصية الدكتور هيكل وسيرته العلمية، وتحليل منهجه في "حياة محمد"، وبيان مدى تأثره بالاستشراق، مع تقديم قراءة نقدية لبعض القضايا التي تناولها. كما يلقي الضوء على مفهوم الاستشراق وأنواعه وأساليبه، لفهم السياق الذي تداخلت فيه المناهج الفكرية بين الشرق والغرب.

البحث :كتاب السيرة المتأثرون بالاستشراق ، د. محمد حسين هيكل نموذجاً

حينما صدر كتاب (حياة محمد) للدكتور محمد حسين هيكل باشا أحدث أثرا كبيرا بين أوساط القراء(1)، ولقد ترك فى الوقت ذاته بعض اللجج، وقد كتب مقدمة الكتاب فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى رحمه الله (١٨٨١- ١٩٤٥م)، وأبدى ملاحظاته، في الوقت ذاته - ربما أثار تأليف هذا الكتاب - بعض الكتاب الآخرين من الذين شاركوا الدكتور هيكل هذه الفترة الزمنية أمثال الدكتور طه حسين الذى كتب "على هامش السيرة" ، ثم كتب "الفتنة الكبرى" والتي أرخ فيها لسيدنا عثمان بن عفان ، ثم كتب "على وبنوه" والذى أرخ فيه لرابع الخلفاء الراشدين ولأولاده الحسن والحسين ...وغير ذلك من الكتب. وأما عن مؤلفات الدكتور طه حسين (١٨٨٩ – ١٩٧٣م) فقد انتهج الاسلوب الأدبي في كتاب "على هامش السيرة" ملقيا الضوء على الفترة التي سبقت مجئ النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم خاض بالأسلوب نفسة مؤلفه التالى"الفتنة الكبرى"، والذى اتبع فيه روايات غير دقيقة من حيث السند، فكان عملا أدبياً خال من بعض المعلومات التاريخية الصحيحة لذلك لايعتبره المحققون والمؤرخون كتاباً تاريخها معتمدا(2).

وكذلك الكاتب المفكر عباس محمود العقاد (١٨٨٩ - ١٩٦٤)م كتب عبقرية محمد، وعبقرية الصديق، وعنصرية عمر... الخ وغيره من الكتب الإسلامية وقد تعرضوا أيضا للنقد نظرا لأنهم نقلوا الوارد في التاريخ دون تحقيق، لكن ذلك لايقلل من شأنهم فهم جميعا كُتَّاب كبار لهم شأنهم فى عالم الفكر والأدب(3).

<u>قول هيكل عن نفسه:</u>

وأما الدكتور محمد حسين هيكل فيقول عن منهجه فى كتاب "حياة محمد":"...وأنا منذ اعتزمت القيام بهذه الدراسة إنما أردتها دراسة علمية على الطريقة الحديثة خالصة لوجه الحق،.....

لوجه الحق وحده ..."(4)

و هيكل فى كتابه "حياة محمد" قد وضع أمامه بعض كتب المستشرقين وهو يقر بالرغم من اتباعه للمنهج العلمي في البحث إلا أنه كان يرد اثناء عمله على مزاعم المستشرقين فيقول: " أطلنا في اقتطاف عبارات سير وليم موير (١٨١٩ – ١٩٠٥م) كما وردت في مقدمة كتابه" حياة محمد" على أن ما اقتطفناه يغنينا عن ذكر ما كتبه

---

[1] ـ لقد طبع منه عشرة نسخة ، وانتهت بعد ثلاثة اشهر

[2] .Sha'ūṭ, Ibrāhīm, *Abāṭīl Yajib an Tumaḥā min at-Tārīkh* (Bayrūt: n.p., 1406 AH/1986), 18 and onwards.

[3] . Sha'ūṭ, Ibrāhīm, *Abāṭīl Yajib an Tumaḥā min at-Tārīkh*, 18 and onwards.

[4] Haykal, Muḥammad Ḥusayn, *Ḥayāt Muḥammad* (Cairo: Al-Hay'a al-Miṣriyya al-'Āmma lil-Kitāb, Maktabat al-Usra, 1417 AH/1997), 61.

الأب هنرى لامنس (١٨٦٢-١٩٣٧م) وهون هامر (١٧٧٤ -١٨٦٥م)ومن يرون هذا الرأى من المتشرقين، هؤلاء جميعا يقطعون بدقة القرآن الذى نتلوه اليوم وبأنه يحتوى كل ما تلاه محمد صلى الله عليه وسلم على أنه الوحى الذى تلقاه من ربه صادقا كاملا. فإذا ذهبت بعد ذلك قلة من المستشرقين غير مذهبهم، وزعموا أن القرآن حرف غير آبهين لهذه الأدلة العقلية التي ساقها "موير" وكثرة المستشرقين...."[5]

ومما سبق نفهم الآتى:

أولاً:- أن الدكتور هيكل اتبع المنهج العلمي الحديث أثناء دراسته لحياة محمد صلى الله عليه وسلم، وأنه قد احترم العلم الحديث الذي أثبتت التجارب مدى أهميته.

ثانيا:- أن هيكل قد اطلع بدقة على كتاب حياة محمد للمستشرق وليم موير، وربما كان منهج الدكتور هيكل قريباً من منهج موير، فكلهما اتبع المنهج العلمي .. ويحمد للمستشرق موير أنه كان مصدقا للقرآن ولم يكن يكذب النبي صل الله عليه وسلم فيما يقوله.

ثالثا:- أن الدكتور هيكل قد لازم عددا من مؤلفات المستشرقين سواء الذين أحسنوا البحث

والمنهج أو أولئك الذين تربصوا بالعداء للإسلام فجاءت مؤلفاتهم تلمس فيها عوجا في الفكر والتأليف. ويطرح الدكتور هيكل سؤالاً افتراضيا يرد هو بنفسه عليه "كنا نستطيع أن نسوق هذه الحجج التي ساقها ((السير موير)) وغيره من المستشرقين وأن نأتى بها من التاريخ الإسلامي ومما كتب علماء المسلمين، وأن نردها إلى مراجعها فيها، لكن آثرنا نقلها عن أحد المستشرقين لنظهر شبابنا المولع بكل آثار الغرب من غير تمحيص لها، على أن الدقه فى البحث العلمى، وحسن القصد إلى الحق وحده جديران بهداية من يسلك سبيلهما مخلصا للحقيقة المجردة من كل زيف .....على أن واجب المحقق أن يدقق في بحثه حتى يصل من الحقيقة إلى غاية دون تأثير بهوى أو شهوة ، ومن غير أن يقف به التقليد أو القصور عن بلوغ هذه الغاية. وقد وفق المستشرقون للحق فى بعض الأحيان ، وقصر همهم في أحيان أخرى.."[6]

ومما سبق يتبين لنا أن الدكتور هيكل كان ضد الغرب في نظرته العنصرية المتعصبة وأنه كان بوسعه أن يرد المعلومات التي قرأها من المستشرقين إلى المصادر الإسلامية (مثل الطبرى ، وابن الأثير، والمقريزى وغيرهم..) لكنه فضل أن ينسب المعلومة إلى المستشرق الذى نقلها وافترى على المسلمين وعلى النبي صل الله عليه وسلم فيها، حتى يدرك الشباب المولع بتقليد الغرب عميانا دون تمحيص، ولا دراية عما ينفع أو يضر.

الأمر الآخر: أن الدكتور هيكل قد ألقى الضوء على منهج علمى سليم يحمل أمانة العرض، فالباحث - عن قصد أو دون قصد - يكتب وربما لا يدقق ولا يتحرى الأمانة ، حيث يغلب عليه الهوى، أو شهوة تأييد مايعتقد دون أن يزيل عقبة التقليد أو يكسل فى التحقيق خلف معلومة فيدونها دون أن يتأكد من كذبها أو حقيقتها، والدكتور هيكل بهذا قد ثبت فريضة أمانة البحث العلمى، فالأمر ليس نقلا من كتب قديمة أو حديثة ، إنما الأمر يستلزم أمانة التحقيق العلمى السليم.

وهذا المنهج معتمد فى كتب إعداد البحوث، فإن كثيرا من المعلومات التي وردت فى مرويات الطبرى، مثلا فيه بعض الأخطاء التي لو انتهج فيها التحقيق العلمي السليم لتم ردها على الفور... وذلك مثل حادثة الغرانيق [7]، وحادثة تبوك فقد وردت تبوك فى صحيح مسلم وروتها كذلك كتب السيرة ، فصحيح مسلم نسب إلى النبي صل

---

[5] . Haykal, Muḥammad Ḥusayn, *Ḥayāt Muḥammad*, 46.

[6] . Haykal, Muḥammad Ḥusayn, *Ḥayāt Muḥammad*, 47.

[7] . Story of the Gharānīq in aṭ-Ṭabarī and others, as well as the miracle of Tabūk; Haykal's opinion and methodology in *Ḥayāt Muḥammad*, 60–61.

الله عليه وسلم معجزة العين التي شربوا منها، أما كتب السيرة فلم تذكر شيئا عن تلك المعجزة، حيث لم تجد هناك إشارة لهذا سواء في سيرة ابن اسحق، أو سيرة ابن هشام.([8])

ويلفتنا الدكتور هيكل إلى منهجية أخرى كانت محل تقدير الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الأزهر. فيقول هيكل "لست مع ذلك أحسب أنى أوفيت على الغاية من البحث فى حياة محمد، بل لعلى أكون أدنى إلى الحق إذ ذكرت ما بين دعوة محمد والطريقة العلمية الحديثة من شبه قوي، فهذه الطريقة العلمية تقضيك إذا أردت بحثا أن تمحو من نفسك كل رأى وكل عقيدة سابقة في هذا البحث.."([9])

وقد يفهم البعض أن الرؤية العلمية الحديثة هي التي توجد المرويات الواردة عن سيرة النبى المصطفى صلى الله عليه وسلم، وليس هذا هو المقصود بل المقصود أن بعض المشكلات التي حدثت مثل اتهام المستشرقين للنبي صلى الله عليه وسلم عند لقاء الوحى بأنه مصاب بالصرع ¡

وهنا يرد الدكتور هيكل بأسلوب علمى حديث على تهمة إلصقت بالنبي عليه الصلاة والسلام. ويرد هيكل بأن المصاب بالصرع تتوقف حركة الشعور والتفكير لديه، بل تتعطل نهائيا، ويتحدث النبى صلى الله عليه وسلم بعدها بما نزل من الوحى ويبين ويشرح دون إخلال، وهذا الصرع المكذوب قد ظهر تفسيره العلمى فى العصر الحديث كذلك فإن هيكل رد عليه بالسبل العلمية التى وردت فى العلم الحديث عن مرض الصرع..

مع العلم بأن الوحى لم ينزل على النبى بصورة الغيبية الجسدية فحسب بل تعدد سبل نزوله واختلف طرقه. ويرجع هيكل لعلم الطب مبيناً أن نشاط الجسد العقلى والروحى يختفى تماماً عند نوبة الصرع، ومن أعراضه أن المريض قد يثور وتشتد ثورته فيضر غيره بالأذى ويغيب عن صوابه ولا يدرك ما يصدر عنه نهائيا

وقد يعض لسانه أو يصاب باعراض عدم التحكم فى النفس وغير ذلك.([10])

ربما استخدم الدكتور هيكل أسلوبا منطقيا مستخدما المنطق وتلمس الدليل بالعقل الرشيد فإن هذا الأسلوب يعتبر من أبجديات المنهج العلمي أيضا.

وقد يُلاحظ بعض الدارسين أن الدكتور هيكل كان يرد أو يستسيغ المعجزات أو بعض المرويات التي فيها تعدد أقوال مثل حادثة شق الصدر مثلا .. لكنه نقل عن كتب التراث مرويات أخرى قبلها دون أن يحققها مثل جريمة شق بطن حمزة عم النبي صلى الله عليه وسلم والمنسوبة لهند بنت عتبة والتي ثبت كذبها و عدم صدقها .. ولكن الدكتور هيكل نقلها من المصادر دون تمحيص.

<u>رأي الأستاذ الأكبر</u>

استعان الدكتور هيكل برأى الأستاذ الأكبر محمد مصطفى المراغى شيخ الأزهر الذى أبدى ملاحظاته على الكتاب قبل الطبع فقال: "...أخرج الدكتور هيكل للناس كتابه «حياة محمد » في سيرة محمد صلى الله عليه وسلم ويسر لي أن أطلع على جزء منه قبل إتمام طبعه، والدكتور هيكل معروف لقراء اللغة العربية غنىّ بآثاره فيها عن التعريف، وقد درس القانون واطلع على المنطق والفلسفة ومكَّنَتهُ ظروفه وطبيعة عمله من الاتصال بالثقافة القديمة والثقافة الحديثة، وأوفى منها على حظ عظيم، وناظر وحاول وهجم ودافع فى المعتقدات والآراء وقواعد الاجتماع وفى السياسة وغيرها، فنضج عقله وكمل علمه واتسع اطلاعه وامتد أفقة، فاصبح ينافح من أرائه بمنطق قوى وحجج باهرة وأسلوب اختص به"([11])

---

[8] . Sha'ūṭ, Ibrāhīm, *Abāṭīl Yajib an Tumaḥā min at-Tārīkh*, 37.

[9] . Haykal, Muḥammad Ḥusayn, *Ḥayāt Muḥammad*, 34, 49.

[10] . Details in Haykal, Muḥammad Ḥusayn, *Ḥayāt Muḥammad*, 48.

[11] . Introduction by the Grand Shaykh of Al-Azhar to *Ḥayāt Muḥammad*, 13.

ويقدر الإمام الأكبر بيان الدكتور هيكل بشأن اعترافه باتباع المنهج العلمي مع انتهاجه المنهجية الحيادية، ويثنى على صراحته في التعامل به بالرغم من المحاذير الواردة على التفسيرات العلمية. لذلك يقول الأستاذ الأكبر: "..أن هذه الطريقة، طريقة القرآن فذلك حق لا ريب فيه، فقد جعل العقل حكما والبرهان أساس العلم، وعاب التقليد وذم المقلدين وأنّب من يتبع الظن وقال: "إِنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا.." [12]، وعاب تقديس ما عليه الآباء و فرض الدعوة بالحكمة لمن يفقهها...[13].

والواقع أننا نعيب على البعض أنهم يحكمون الهوى فيرفضون التحقيق العلمي السليم لأنه ينافى ما كان يؤمن به سنين عددا بالرغم من الخطأ في الاعتقاد.. وكثير ما انتصر أهل الجهل لجهلهم على قضايا محسومة علمياً كمثل من يعمل فتقول أن عملك مبنى على حديث منكر أو حديث ليس له أصل، فتراه يثور على الحق ويعود للباطل لأنه عاش فيه مقلدا دون أن يتحقق علميا.

ويستطرد الأستاذ الأكبر مؤيدا نهج الدكتور هيكل ومستدلا بمنهج الإمام أبي حامد الغزالى (ت ٥٠٥ هـ). فيقول الشيخ المراغي: "وقد جرى الإمام الغزالى على الطريقة نفسها. وقد قرر في أحد كتبه[14] أنه جرد نفسه من جميع الآراء ثم فكر وقعد، ورتب ووازن، وقرب وباعد، وعرض الأدلة وهذبها وحللها، ثم اهتدى بعد ذلك كله إلى أن الإسلام حق، وإلى ما اهتدى إليه من آراء. وقد فعل هذا ليجافي التقليد، وليكون إيمانه إيمان المستيقن المعتمد على الدليل والبرهان.....[15]

ويكمل الإمام الأكبر حديثه فيقول: "ويطول بي القول إذ أنا عرضت لما فى كتاب الدكتور هيكل من حسنات، وحسبى أن أنبه إلى تلك الحسنات إجمالا[16]

وبالرغم من أننا جئنا برأى الأستاذ الأكبر بالثناء على المنهج الذي اتبعه دكتور هيكل في كتابه، بيد أن ذلك التقريظ الذي كتبه الإمام الأكبر لا يغنينا عن مراجعة آراء الدكتور هيكل التي تبناها في دراسته أو تلك التي رد فيها على المستشرقين، فكتاب (حياة محمد) في الأصل هو للرد على المستشرقين، خاصة وأن أحد المستشرقين هو وليم موير قد كتب كتابا بالعنوان نفسه "حياة محمد" وله فيه من الأراء العلمية التى انتهجها.. وأحب أن ألفت النظر إلى أن كتاب محمد حسين هيكل يستحق الدراسة من عدة جهات وليس من جهة الأراء الاستشراقية فحسب.

<u>كتاب المسيحية ومحمد</u>

اتجه الدكتور هيكل إلى إلقاء الضوء على المرجعية التي عاد إليها المستشرقون وهم يقيمون النبي وسيرته، وللأسف فإن مرجعتهم هي كتب المسيحية نفسها فيقول دكتور هيكل نقلا عن موسوعة لاروس الفرنسية لكتاب المسيحية إلى النصف الأول من القرن ١٩ ممن نالوا من محمد صلى الله عليه وسلم شر نيلة – والتى شكلت وجدان وعقلية الغرب المسيحي تجاه المسلمين - تقول الموسوعة : ".. بقي محمد ذلك ساحرا ممعنا فى فساد الخلق، لص نياق، كردينالا لم ينجح فى الوصول إلى كرسى البابوية ، فاخترع ديناً جديدا لينتقم من زملائه. واستولى القصص الخيالى والخليع على سيرته وسيرة باهومية (محمد) تكاد تقيم أدبا من هذا النوع. وقصة محمد التي نشرها رينا و فرانسيسك ميشيل سنة ١٨٣١م تصور لنا الفكرة التي كانت لدى أهل العصور

---

12 . Yūnus, 10:36.

13 . Introduction by the Grand Shaykh of Al-Azhar to *Ḥayāt Muḥammad*, 13.

14 . Likely refers to *Al-Munqidh min aḍ-Ḍalāl* by Al-Ghazālī, Abū Ḥāmid.

15 .Al-Marāghī, Muḥammad Muṣṭafā, introduction to *Ḥayāt Muḥammad* (Cairo: Al-Hay'a al-Miṣriyya al-'Āmma lil-Kitāb, Maktabat al-Usra, 1417 AH/1997), 13.

16 .Al-Marāghī, Muḥammad Muṣṭafā, *Ḥayāt Muḥammad*, 14.

الوسطى عنه، وفى القرن السابع عشر نظر بيل في تاريخ أدب القرآن نظرة تاريخية. ومع ذلك ظلت مقررات ظالمة ثابتة فى نفسه عنه. على أنه يعترف مع ذلك بأن النظام الخلقى والاجتماعي الذي أقامه لايختلف عن النظام المسيحى لو لا القصاص وتعدد الزوجات"([17])

وبالطبع فإن الخلفية الثقافية والفكرية التي ينشأ فيه الإنسان تشكل جزءا كبيرا من عقيدته، وهذه الآراء السوداء ربما انتشرت في العصور الوسطى وكانت من وراء كثير من التعصبات الدينية والتى كان من ..... نتاجها الحروب الصليبية (١٠٩٦ - ١٢٩١م) ([18]) لكن ما الغدر فى عدم تصحيح معلومات تلك الموسوعة وغيرها من الموسوعات المتعصبة([19]).

ويستطرد دكتور هيكل ليرد على ما سبق برأى المستشرق إميل درمنجم الكاتب الفرنسي المحايد الذي رد على ذلك بموضوعية فى كتابه (حياة محمد) ص ١٣٥وما بعدها ، ويبدو أن هيكل قد تتبع كل عناوين أصدرها المستشرقون تحت عنوان (حياة محمد) ليختار منهم المتعصب والمحايد.

ويعود د/ هيكل إلى إميل در منجم ليذكر رأيه فيما كتبه اخوانه في المسيحية فيقول: "لما نشبت الحرب بين الإسلام والمسيحية اتسعت هوة الخلاف. فمن البيزنطيين من أوقروا الإسلام احتقارا من غير أن يكلفوا أنفسهم - فيما خلا جان داماسيين – مؤنة دراسته. ولم يحارب الكتاب والنظاميون مسلمى الأندلس إلا بأسخف المثالب. فقد زعموا أن محمدا لص نياق ، وزعموه متهالكا على اللهو، وزعموه ساحرا، رئيس عصابة من قطاع الطرق، بل زعموه قسا رومانيا مغيظا مختفا .." ويستطرد المستشرق درمنجم ذاكرا كل الموبقات التى لفقها خبثاء المسيحية حتى وصل إلى موت محمد صلى الله عليه وسلم فذكر : ".... ليذكر أن محمدا مات فى نوبة سكر بين، وأن جسده وجد ملقى على كوم من الروث وقد أكلت منه الخنازير، وذلك ليفسر السبب الذي من أجله حرم لحم ذلك الحيوان (الخنزير)، وذهبت الأغنيات([20]) إلى حد أن جعلت محمدا صنما من ذهب وجعلت المساجد الإسلامية برابى ملأى بالتماثيل والصور..."([21])

وبالرغم من أن هيكل قد تأثر غضباً من سوء خلق هؤلاء المستشرقين لكنه لم يرد على الاتهام الأخير...

> إن لحم الخنزير حرم على المسلمين قبل وفاة محمد صلى الله عليه وسلم ، يقول الله عز و جل:" قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّهِ بِهِ...."([22]) و الآية هي من سورة الأنعام. والسورة من السور المكية، فكيف يفترون على النبي وعلى المسلمين ويقولون أن السبب في تحريم الخنزير هو أن محمد مات سكيراً فوق روث وقد أكلت منه الخنازير؟ ؛ ومما يؤسف أن هذا السلوك السئ للمستشرقين قد بين حجم القاذورات الكامنة في نفوسهم. وينقل هيكل قول المستشرق المحايد درمنجم الذي قال: "وقد ظلت حياة الأحقاد والخرفات قوية متسبتة

---

[17] . Haykal, Muḥammad Ḥusayn, *Ḥayāt Muḥammad*, 25.

[18] .Runciman, Steven, *Tārīkh al-Ḥamalāt aṣ-Ṣalībiyya*, trans. as-Sayyid al-Bāz al-ʻArīnī (Bayrūt: n.p., 1398 AH/1978), 3 parts, introduction, 18–19.

[19] .Fu'ād, Muḥammad Khālid, *Al-Jamāʻāt ad-Dīniyya al-Masīḥiyya* (PhD dissertation, Al-Azhar University, Cairo, 1425 AH/2004).

[20] ·Europe's hostile songs and anthems sung by Crusaders, such as the Song of Antioch, claiming a silver idol of "Maḥūm" (the Prophet) on a mosaic throne, and the Song of Roland, depicting King Senartan's knights destroying Islamic idols: Runciman, Steven, *Tārīkh al-Ḥamalāt aṣ-Ṣalībiyya*, 1:38 and onwards.

[21] · Haykal, Muḥammad Ḥusayn, *Ḥayāt Muḥammad*, 37.

[22] · Al-Anʻām, 6:145.

بالحياة، فمنذ رودلف دلوهيم إلى وقتنا الحاضر قام نيكولا ركيز وقيفس و مراتشى وهوتنجر وبيلياندر وبريدو وغيرهم فوصفوا محمدا بأنه دجال، والإسلام بأنه مجموعة من الهرطقات كلها من عمل الشيطان. ([23])

والحقيقة أن من يقرأ تفصيليا كلام دورمنجم عن متعصبي العصور الوسطى والأكاذيب التى روجوها يستشيط غضباً. لذلك قال هيكل عن هذه الاتهمات:

" أرأيت الحضيض الذي هوت إليه هذه الطائفة من كُتَّاب الغرب؟ أرأيت إصرارهم مع توالى القرون على الضلال وعلى إثارة العداوة والبغضاء بين أبناء الانسانية؟ ومن هؤلاء من جاءوا فى العصور التى يسمونها عصور العلم والبحث والتفكير الحر وتقرير الإخاء بعين الإنسان والإنسان. قد يخفف من أثر هذا الضلال قيام أولئك المنصفين إلى حد ما ، ممن أشار إليهم درمنجم ومنهم من يقر بصدق يقر بصدق إيمان محمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة .. ومنهم من يشيد بعظمة محمد صلى الله عليه وسلم وبسمو خلقه ورفعة نفسه ..."([24])

وهنا يبدو أن هيكل قد رد على هذا التطاول بنقد سبل الغرب فى التعصيب وأكد على ضرورة التزام الحياد العلمى والأمانة العلمية، ولكن هذا الأسلوب قد يناسب حتمية عمل الأبحاث العلمية لكنه كان لابد من الرد والرد العنيف على من يتطاول على النبي صلى الله عليه وسلم .. صحيح أن الإسلام طلب منا الرد بما هو أحسن ودفع الضرر بهدوء ورصانة لكننا لا ننسى أن نشر هذه الاحقار والضغائن بين أبناء الغرب خلق التعصب والكراهية ضد الإسلام والمسلمين عبر القرون التالية وإلى يوم الناس هذا.

وهناك من علماء المسلمين فى العصر الحديث من رد بقوة على تطاول الغرب المتعصب

ضد المسلمين مثل رد عباس محمود العقاد عليهم في اتهام النبي بتعدد الزوجات([25]) وكذلك رد الإمام الشيخ محمد الغزالي على جولد تسهير بقوة([26]) خاصة وأن جولد تسهير كتب مؤلفاً بعنوان "العقيدة والشريعة" جمع فيه خبائث الغرب ، لكن الشيخ تصدي بقوة لكل المآخذ. كذلك دافع الشيخ محمد الصادق عرجون ([27]) عن الإسلام والنبى في كل الاتهامات الموجهة ولكن باسلوب علمي هادئ وليس بقوة العقاد أو الغزالي.

مع أن هيكل قد أكد أن افتراءات الغرب قد أثرت في أجيال متعاقبة عبر الزمان وخلقت تعصبا شديدا([28]) لكنه التزم الأدب مع فئات لم تكتب بأدب واحترام ... وأرى الذى دفع هيكل لهذا هو أنه قد التزم منهجا علميا واتبع دوافع الأسباب التي جعلت الغرب المسيحي يضمر هذه الكراهية للإسلام، فعاد هيكل إلى دراسة المسيحية ربماكانت مبادئ المسيحية دافعة للكراهية للإسلام، وربما كانت هناك نصوص أباحت الكذب ضد المخالفين للمسيحية في العقيدة، ولذلك تناول الدكتور هيكل فصلا عن المسيحية، وهو آنذاك يعود لجزور الغرب المسيحي ليبين الأسباب وراء هذا الحقد الصليبي الكامن في نفوس بعض المستشرقين ممن صنعوا الكراهية.

---

[23] · Dormanjem's remarks quoted in Haykal, Muḥammad Ḥusayn, *Ḥayāt Muḥammad*, 26.

[24] · Haykal, Muḥammad Ḥusayn, *Ḥayāt Muḥammad*, 26.

[25] · Al-'Aqqād, 'Abbās Maḥmūd, *'Abqariyyat Muḥammad* (Cairo: Dār Nahḍat Miṣr, 1416 AH/1996), 4 and onwards.

[26] · Al-Ghazālī, Muḥammad, *Difā' 'an al-'Aqīda wash-Sharī'a ḍidd Matā'in al-Mustashriqīn* (Cairo: Dār al-Kitāb, 1388 AH/1968), 6 and onwards.

[27] ·'Arjūn, Muḥammad aṣ-Ṣādiq, *Muḥammad Rasūl Allāh* (Damascus: Dār al-Qalam, 1406 AH/1986), 3 parts.

[28] · Haykal, Muḥammad Ḥusayn, *Ḥayāt Muḥammad*, 26.

البحث في الجزور

انتهج هيكل سبيل البحث في أصل المسيحية ... وأثناء بحثه عن الجهل والتعصيب ارتأى هيكل أن الجهل والتعصب ليسا وحدهما من وراء إثارة الحرب الفروس الشعواء وحدهما، بل إن هناك دوافع أخرى رأها بخلاف الاستغلال للشعوب واحتلالها...بمعنى أخر هيكل وجد أن الجهل أو التعصيب لا يصنعان كل هذه الكراهية وهذا الغل الدفين. ووجد كذلك أن الرغبة في احتلال الشرق ليس من وراء هذا .. وإن كان لكل سبب منهما اعتباره المشهود. لكن هيكل ارتأى أن هناك سببا رئيسيا هيمن على كل هذا وهو: أن المسيحيين لا تلائم طبيعة الغرب !! يرى هيكل أن المسيحية تدعو إلى الزهد والى اعتزال العالم ومن العفو والمغفرة ومن المعانى النفسانية السامية كل هذا ليست مما يناسب الغرب وطبيعته ذلك الغرب الذي عاش قرونا على الوثنية وتعدد الألهة، وكذلك فإن الموقع الجغرافي حيث الزمهرير يقتضى العمل والحركة والكفاح ،

فإذا جاءت ملامح الغرب وآدانت بالمسيحية فإن عليها الآن أن تتغير([29]).

ويؤكد هيكل على ما سبق فيقول: "و إلى هذا السبب في رأيي يرجع إغراق الغربيين وغلوهم فى التدين وفى الالحاد جميعا إغراق تعصب وكفاح لا يعرف الهوادة ولا يعرف التسالح"([30]).

وقد اعترض اعتراض الباحث على هذا، من حيث أنني لا أبحث عن التماس أعذار لقارة بأكملها ومن أيدها، بل أراهم شياطين الإنس يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا .. إن أوربا غمرت فى أزمنة الوثنية بالفلسفات الإغريقية وموروثات أرسطو وأفلاطون، ثم جاءتهم المسيحية نقية فعبثوا بها حتى ترومت وحملت في طياتها فلسفة الوثنية .. ووجود فصل يعلل كراهية أوربا للإسلام والمسلمين وإغرائه إلى هذا السبب هو ذهاب إلى طريقه لا يخدم أو يبرر سوء خلقهم في طعن سيرة من جاء على غير هواهم. فكل هذا لا يبرر الروح العدوانية .. ونحن المسلمين لا ينبغي أن نبرر للاعداء ما يخفف الوطأة التاريخية عليهم ..

هيكل والاستعمار والدعوة

و تطرق هيكل إلى الاحتلال وسبله الدعائية في النيل من الإسلام والمسلمين حيث أشار إلى أن الاحتلال كان يسبب تراجع المسلمين إلى أتباعهم للإسلام، وأن الإسلام هو السبب فى انحطاط المسلمين ويرد هيكل في الوقت ذاته قائلا: "وهذه فرية يكفي لإدحاضها أن يذكر قائلها أن الشعوب الإسلامية ظلت صاحبة الحضارة الغالية وصاحبة السيادة على العالم المعروف كله قرونا متوالية، وأنها كانت محط رجال العلم والعلماء، وموئل الحرية التي لم يعرفها الغرب إلا من أمد قريب"([31]) ..

مسؤلية ما صارت إليه الشعوب الإسلامية

و تناول هيكل أولئك الذين اتهموا الإسلام بحيثيات التخلف وأن التخلف في هذا الدين نفسه، وتصيدوا كل الخرافات التي زجها بعض المتخلفين في كتب السيرة وغيرها والتي اعتمد عليها الطاعنون فى سب الاسلام ونبيه .. وإذا جئت لمنهجهم وجدت شهوات الغل والتجريح والجدل للجدل دون اتباع فمنهج العدل والعدالة (32).

حادثة شق الصدر

و تعرض الدكتور هيكل إلى مسألة شق الصدر وعاد فيها إلى ابن اسحق والطبرى وجملة من المستشرقين وبعض المفكرين من المسلمين .. ويبدأ هيكل بقوله ناقلا الرواية: "أنه كان مع أخيه الطفل مِن سِنِّه فِي بُهمٍ لأهله خلف بيوتهم إذ عاد أخوه الطفل السعدى (ابن حليمة السعدية) يعدو ويقول لأبيه وأمه: ذلك أخي القرشى (محمد)

29 .Haykal, Muḥammad Ḥusayn, *Ḥayāt Muḥammad*, 27.
30 .Haykal, Muḥammad Ḥusayn, *Ḥayāt Muḥammad*, 27.
31 .Haykal, Muḥammad Ḥusayn, *Ḥayāt Muḥammad*, 27.
32 .Haykal, Muḥammad Ḥusayn, *Ḥayāt Muḥammad*, 29.

قد أخذه رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاه فشقا بطنه فهما يسوطانه(يقلبانه). ويروى عن حليمة أنها قالت عن نفسها وزوجها : "فخرجت أنا وأبوه (تقصد زوجها وأباه في الرضاعة) نحوه ، فوجدناه قائما ممتقعا وجهه ، فالتزمته والتزمه أبوه ، فقلنا له: مالك يا بني ؟ قال جاءني رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعانى فشقا بطني فالتمسا فيه شيئا لم أدر ما هو". ورجعت حليمة ورجع أبوه إلى خبائهما وخشى الرجل أن يكون الغلام أصابته الجن !. فاحتملاه إلى أمه بمكة. ويروى ابن اسحق فى هذه الواقعة حديثا عن النبي صل الله علبه وسلم بعد بعثه لكن ابن اسحق يحتاط بعد أن يقص هذه القصة ويذكر أن السبب فى رده إلى أمه لم يكن حكاية الملكين، وإنما كان على ما روته حليمة لآمنة (أم النبي)، أن نفرا من نصارى الحبشة رأوه معها حين رجعت به بعد فطامه ، فنظروا إليه وسألوها عنه وقلبوه ثم قالوا :

> "لنأخذن هذا الغلام فلنذهب به إلى ملكنا وبلدنا ، فإن هذا الغلام كائن له شأن، نحن نعرف أمره. ولم تكد حليمة تنفلت به منهم. كذلك يروبها الطبري لكنه يحيطها بالريبة، إذ يذكرها في هذه السنة من حياة محمد، ثم يعود فيذكر أنها وقعت قبيل البعث وسِنُّهُ أربعون سَنَةً"([33])

هذا ما نقله الدكتور هيكل من المصادر التاريخية الأولى دون أن يتدخل برأيه أو يلمح إلى موقفه من هذه الروايات كما لم يبين درجة صحته أو ضعفها .. هو نقل عن ابن اسحق والطبري فحسب ثم عاد هيكل إلى المستشرقين مباشرة ليبين رأيهم هم وبعض الكتاب من المسلمين والمفكرين المعاصرين وغيرهم من الباحثين. .

ويستطرد هيكل مباشرة فيقول: "لايطمئن المستشرقون ولا يطمئن جماعة من المسملين كذلك إلى قصة الملكين هذه ويرونها ضعيفة السند. فالذى رأى الرجلين في رواية كتاب السيرة إنما هو طفل لا يزيد عن سنتين إلا قليلا. وكانت كذلك سن محمد يومئذ. والروايات تجمع على أن محمدا أقام ببنى سعد إلى الخامسة من عمره. فلو كان هذا الحادث قد وقع وسنه سنتان ونصف سنة. ورجعت حليمة وزوجها إذ ذاك به إلى أمه، لكان في الروايتين تناقض غير مقبول ، ولذلك يرى بعض الكتاب أنه عاد مع حليمة ومرة ثالثة، ولا يرضى المشتشرق وليم موير أنه يشير إلى قصة الرجلين في ثيابهما البيضاء، ويذكر (موير) إنه إن كانت حليمة وزوجها قد تنبها لشيء أصاب الطفل فلعله نوبة عصبية أصابته...([34]).

وهنا نجد أن هيكل قد جمع رأى المستشرقين دون أن يحدد على الدقة من الذي قال ، ومن الذي لم يطمئن .. كما أشار أيضا إلى رأى موير المعتدل وبين أنه لم يقبل رواية الملكين المرتديان الزى الأبيض وبين أنها ربما كانت حالة عصبية أصابت طفلا بشكل عارض سرعان ما انتهت لكمال صحته وعافيته. ونجد أيضا أن الدكتور هيكل لم يذكر من هم المفكرين أو العلماء المسلمين، ربما لو ذكرهم وعرفهم الدارسون لكان لهذه الآراء قوة أخرى . لكن الدكتور هيكل أجمل آراء المستشرقين والمسلمين معا فى رأى واحد دون تفصيل باستثناء (موير) .

ويستطرد الدكتور هيكل "ولعل آخرين يقولون : إنه لم يكن في حاجة إلى من يشق بطنه أو صدره ما دام الله قد أعده من يوم خلقه لتلقى رسالته".([35])

وهنا نجد الدكتور هيكل يشير إلى رأى عقلاني تبناه آخرون والذى يبين أن المدرسة العقلانية لا ترى مبررا لشق الصدر حيث إن الله عزوجل قد أعد النبي صلى الله عليه وسلم منذ الميلاد ليحمل عبء الرسالة فلماذا نلجأ إلى إجراء عملية جراحية كهذه وما الدافع إليها؟

---

[33] . Ibn Isḥāq, *As-Sīra an-Nabawiyya* (Bayrūt: n.p., 1408 AH/1988), 1:128.
[34] .Haykal, Muḥammad Ḥusayn, *Ḥayāt Muḥammad*, 104.
[35] .Haykal, Muḥammad Ḥusayn, *Ḥayāt Muḥammad*, 104.

و عاد دكتور هيكل ليكمل رأى المستشرق د/منجم فيقول: " يرى د/منجم أن هذه القصة لا تستند إلى شيء غير ما يفهم من ظاهر الآيات: "ألم نشرح لك صدرك ، ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك"[36] ، وأن ما يشير إليه القرآن إليه إنما هو عمل روحى بحت ، والغاية منه تطهير هذا القلب وتنظيفه ليتلقى الرسالة القدسية خالصا ويؤديها مخلصا تمام الإخلاص محتملا عبء الرسالة المضنى[37] . وهذا رأى د/ منجم الذى ذهب إلى رفض كل ما سبق إلا في ضوء قوله تعالى في سورة الانشراح.

وهنا يجدر بنا الإشارة إلى تشريح الصدر وشقه جراحيا ، يختلف عن إنشراح الصدر ، فالأول هي عملية جراحية والثاني معنوية روحانية بين الأمر الثاني في الآية "ووضعنا عنك وزرك" ، لا يمكن أن تكون نزلت على حادثة شق الصدر لأنه طفلا لم يبلغ ثلاث سنوات لا يمكن أن تكون عليه أوزار.

وبلغة البحث العلمى فإن الأمر كان يستلزم من دكتور هيكل بيان رأيه بين زخم آراء المستشرقين ومن معهم من كتاب المسلمين، لكنه نقل الآراء، الأمر الذي يجعلني أميل إلى أنه كان مؤيدا لهذه الآراء.

مع ملاحظة أن الدكتور هيكل قد سار على نهج سيرة ابن اسحق مراعيا الترتيب ، إلا أنه جاء

عند قصة بحيرا الراهب واختصرها بشدة بالرغم من أن المشرقين قد تناولوها بالتفنيد والتفصيل ، لكن يبدو أن الدكتور هيكل قد تجاوز كل الآراء التفصيلية نحوها و سردها دون بيان وجه الاستشكال فيها[38].

وتجاوز كذلك فترة التأمل والتى كان محمد حين يرعى الغنم يختلقها لنفسه ويتأمل فى الأمور من حوله، وهذه الفترة كانت من الأمور التى ألقى عليها المستشرقون اتهاماً للنبى بأنه فى فترة مكوثه بالصحراء يرعى الغنم قد تعرض لأمور أثرت عليه ، لكن هيكل لم يتعرض لها[39].

<u>التحنث في غار حراء</u>

اعتاد مفكروا العرب أن يختلوا بأنفسهم" فى عام زمنا يقضونه فى العبادة بعيدا عن الناس في خلوة يتقربون إلى آلهتهم بالزهد والدعاء ويتوجهون إليها بقلوبهم ، ويلتمسون منها الخير والحكمة وكانوا يسمون هذا الانقطاع للعبادة التحنف أو التحنث"[40].

وهذه الخلوة كانت منفذا للمستشرقين ليتهموا النبي صلى الله عليه وسلم فمنهم من اتهمه بأنها حالة تغيب ومن يدرى ماذا كان النبي يتخيل ، وكذلك ردوا على عبادة النبي في خلوتة ، خاصة وأن المصادر الإسلامية قد اختلفت على أي دين كان النبي يتعبد ؟.

يقول د. هيكل: "أفكان محمد صلى الله عليه وسلم يتعبد أثناء تحنثه ذاك على شرع بذاته ؟ هذا الأمر اختلف العلماء فيه، وقد روى ابن كثير فى تاريخه طرفا من آرائهم فى الشرع الذى كان يتعبد عليه ، فقيل: شرع نوح ، وقيل ابراهيم ، وقيل موسى ، وقيل عيسى ، وقيل كل ما ثبت أنه شرع عنده اتبعه وعمل به، ولعل القول الأخير أقوم من كل ما سبقه ، فهو الذى يتفق وما شغف محمد صلى الله عليه وسلم به من التأمل والتفكير على أساس هذا التأمل"[41].

---

36 .Al-Inshirāḥ, 94:1–3.

37 . Haykal, Muḥammad Ḥusayn, *Ḥayāt Muḥammad*, 104.

38 . Haykal, Muḥammad Ḥusayn, *Ḥayāt Muḥammad*, 118.

39 .Haykal, Muḥammad Ḥusayn, *Ḥayāt Muḥammad*, 107; details of this meeting in Aṣ-Ṣallābī, ‘Alī Muḥammad, *As-Sīra an-Nabawiyya* (Cairo: Dār at-Tawzī‘ wan-Nashr al-Islāmiyya, 1423 AH/2002), 1:67–68.

40 .Haykal, Muḥammad Ḥusayn, *Ḥayāt Muḥammad*, 110.

41 .Haykal, Muḥammad Ḥusayn, *Ḥayāt Muḥammad*, 119.

وهذا التعدد في الآراء كان سبباً في تناول المستشرقين هذا الأمر بشيء من العدوان والاتهام، وهيكل نقل عن آراء مؤرخي المصادر الإسلامية أقوالهم ولم يختر منهم رأيا أو يرد على المستشرقين وكان حريا أن يحسم الخلاف بقوله تعالى:" ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ"[42] . وانتهى الخلاف، ولو اتبع المؤرخون قوله تعالى لما اختلفوا ولما أعطوا المستشرقين ذريعة للطعان، بالرغم من أنه سبيلهم في كل السيرة للنيل من الإسلام .

انحلال السلطة في مكة وأثره

تناول هيكل نقطة مهمة جدا أزعم أن أحدا من قبله قد تناولها حيث بلور الأحداث الواردة فى كتب السيرة عن القبائل الحاكمة والسلطة السياسية فى مكة واستشف منها أن الحكم في مكة قد أصبح مفككا وليس كسابق عهده... فقد حكى هيكل ما دار بين القبائل بشأن الحجر الأسود[43].

واستخلص من الموقف أن هذا الاحتكام يدل على" أن السلطة فى مكة كانت انحلت ، فلم يبق لرجل منها ما كان لقصى ولا لهاشم ولا لعبد المطلب من سلطان ... ، وكان الانحلال فى السلطة جديرا بأن يجر على مكة الأذى ، لولا ما كان لبيتها العتيق في نفوس العرب جميعا من تقديس ، وأدى انحلال السلطان إلى نتيجته الطبيعية إلى مزيد من حرية الناس في التفكير والجهر بالرأى وإلى إقدام اليهود والنصارى ممن كانوا يخافون صاحب السلطان، على تغيير العرب عبادة الأوثان، وانتهى ذلك بكثير من أهل مكة ومن القرشيين أنفسهم إلى أن زال من نفوسهم تقديس أصنام ...[44]. وهذا كلام غريب وخطير [45]...

أولاً :- قد تؤيد الدكتور هيكل فى مسألة ضعيف السلطة في مكة بالمقارنة بزعمائه السابقين مثل قصى وهاشم و عبد المطلب ، لكن كانت قريش تتمتع بقوة ومنها كانت تجمع كل القبائل حولها ، ومما يثبت ذلك أمر أن الأول سيطرتها على كل القبائل التى تحالفت معها وجعل الكلمة الأولى والأخيرة لها. الأمر الثاني خوضها الحروب الضارية ضد المسلمين بعد الهجرة حيث تم تأسيس دولة الإسلام الأولى.

ثانياً :- حرية التفكير كانت من إحدى مميزات الشخصية العربية وذلك لطبيعة العرب البدوية المنطلقة في الصحراء حيث حرية التنقل والترحال.

ثالثاً :- لا نؤيد مطلقا أن لليهود والنصارى دور في تضئيل حجم تقديس الأصنام !!فالعرب الوثنيون كانوا على صلة بالروم خاصة المنطقة الشمالية وذلك من جراء حركة التجارة الكبرى والتي كان يجريها العرب بين الشام واليمن[46].

ولو كان لهم تأثير لأنتشرت النصرانية أو اليهودية في الجزيرة العربية أو على الأقل ما كانت قريش تعادى النبى فى قضية التوحيد والإيمان بالله الواحد ، وما كانت قريش ترتكب موبقات التعذيب ضد المسلمين و تدبر قتل النبي صلى الله عليه وسلم [47].

---

42 .An-Naḥl, 16:123.

43 .Incident of placing the Black Stone and the dispute: Aṣ-Ṣallābī, ʻAlī Muḥammad, *As-Sīra an-Nabawiyya*, 1:76.

44 .Haykal, Muḥammad Ḥusayn, *Ḥayāt Muḥammad*, 116.

45 . Dr. Haykal's influence by the Anglo-Saxon orientalist approach: Al-Jiblāwī, Āmina, *Al-Islām al-Mubakkir, al-Istishrāq al-Anglosaksonī al-Jadīd: Patricia Crone wa Michael Cook Namūdhajan* (Cairo: Dār al-Jīl, n.d.), 98.

46 . Pre-Islamic trade in Mecca: Ar-Rūbī, Āmal Muḥammad, *Tijārat Makka wa Ẓuhūr al-Islām*, trans. and ed. Āmal Muḥammad ar-Rūbī (Cairo: Supreme Council for Culture, 1438 AH/2017), 28 and onwards.

وأين هي قوافل الدعوة النصرانية أو اليهودية ضد الوثنية؟ إن اليهود حين اتفقوا مع القريش وعطفان ضد النبي والإسلام قبل غزوة الأحزاب ذهبوا لقريش وقالوا لهم أنتم بوثنيتكم أعظم دينا من دين محمد الموحد وقد سجل القرآن عليهم هذا يقول الله تعالى: " أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَؤُلاء أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُواْ سَبِيلاً "[48]، فإذا كان اليهود هنا يقرون لأهل الكفر وعبادة الأصنام أنتم أقرب إلى الله وأهدى، ودينكم أعظم من دين المسلمين فكيف تكون عقيدة أهل الكتاب قد أثرت في أهل الوثنية وجعلتهم يقللون قدسيتهم من عبادة الأصنام؟! ثم عاد الدكتور هيكل ليلتمس لأهل قريش العذر في عنادهم ورفضهم لدين محمد صلى الله عليه وسلم ، فقال:"ولهؤلاء من العذر ما للذين يرون فى الدين القائم (الوثنية) وسيلة من وسائل ضبط النظام، وعدم تبلبل الأفكار، وفي عبادة الأصنام بالكعبة ما يحفظ على مكة مكانتها الدينية والتجارية ، وقد ظلت بالفعل تنعم من وراء هذه المكانة بالرخاء واتصال التجارة ، لكن ذلك لم يغير من زوال تقديس الأصنام في نفوس المكيين...[49]، وهو بذلك يعترف بأن أهل مكة استمروا يقدسون الأصنام، فحمل التناقض في فقرة واحدة[50]. ولا شك أن مؤلفات الاستشراق عن تاريخ المسلمين كثيرا ما تزج بفضل النصرانية واليهودية بالتأثير على أفكار أهل الوثنية. وكما ظهر فإن الدكتور هيكل قد تأثر بهذا الرأى بعض الشئ، بغض النظر عن أنه أثبت عكسه فيما بعد.

<u>قصة الغرانيق والمستشرقين</u>

هاجر المسلمون إلى الحبشة عند ملك لا يُظلَم عنده أحد، واستقبلهم النجاشي بعدما اطمأن إلى سلامة موقفهم وطيب معتقدهم وآمانتهم وحكوا للملك التعذيب والاضطهاد الذى لاقوة فى مكة من قومهم وقتلوا من قتلوا وما زال التعذيب قائما حتى وصولهم إلى الحبشة، وأرسلت قريش خلفهم وفدا من مكة للنجاشي ليردوهم إلى قريش مرة أخرى، وتكلم عن الوفد عمرو بن العاص وتنبه القوم لما يقال، فسأل النجاشي عن بضعة أمور اطمأن منها إلى سلامة عقيدتهم فاطلق سراحهم فى البلاد يجولون فيها ويحيون دون قيود [51].

ولا شك أن الأوطان غالية على أصحابها ، والمسلمون في الحبشه رغبوا ثم تمنوا أن تكون الأحوال قد هدأت فى مكة واستقرت خاصة وأنهم سمعوا بإسلام الكبار عمر بن الخطاب وحمزة بن عبد المطلب عم النبي وغيرهما من استند الضعفاء إلى قوتهم وشخصيتهم ، فقرروا العودة إلى مكة ولم يتنبهوا إلى أن قريشا دبرت عدة مؤامرات ومكائد مفادها القسوة والعنف[52].

لكن - وللأسف الشديد - نقل مؤرخو المسلمين وبعض المفسرين قصة الغرانيق العلا فاستغلها المستشرقون وتشدقوا بها. ولم يجروا عليها التحقيق العلمى السليم والمحايد، وحتى المستشرقون المعتدلون منهم أمثال (د/ منجم) قيلوها و شهروا بها ولم يرفضوها.

وأول الخاطئين من المسلمين ابن سعد فى الطبقات الكبير ، والطبرى في تاريخ الرسل والملوك وعدد من المفسرين ونقله آخرون من كتاب السير، وأخذ به المستشرقون كما أشرنا - وقصة الغرانيق تقول: أن محمدا لما رأى

47 .Persecution of Muslims in Mecca: Al-Ghazālī, Muḥammad, *Fiqh as-Sīra* (Alexandria: Dār ad-Da‘wa, 1421 AH/2000), 93–96.

.[48] An-Nisā’, 4:unknown (incomplete reference).

[49] .Haykal, Muḥammad Ḥusayn, *Ḥayāt Muḥammad*, 116.

[50] .Haykal, Muḥammad Ḥusayn, *Ḥayāt Muḥammad* (noting the contradiction in the paragraph).

[51] .First migration to Abyssinia: Ibn Hishām, *As-Sīra an-Nabawiyya*, ed. Hammām Abū Ṣa‘līk (Bayrūt: n.p., 1406 AH/1986), 1:298; Al-Ghazālī, Muḥammad, *Fiqh as-Sīra*, 101.

[52] Decision to return to Mecca after the first migration: Haykal, Muḥammad Ḥusayn, *Ḥayāt Muḥammad*, 140; Al-Ghazālī, Muḥammad, *Fiqh as-Sīra*, 102.

تجنب قريش إياه وأذاهم أصحابه تمنى فقال :ليته لا ينزل علىَّ شيء (قرآنا) ينفرهم (أى المشركين) منى ، وقارب قومه ودنا منهم و دنوا منه فجلس يوما فى ناد من تلك الأندية حول الكعبة فقرأ عليهم سورة النجم حتى بلغ قوله تعالى" أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى 0 وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى"[53] فقرأ بعدها : تلك الغرانيق العلا وإن شفاعتهن لترجى. ثم مضى وقرأ السورة كلها وسجد فى أخرها. وهنالك سجد القوم جميعا لم يتخلف منهم أحد . وأعلنت قريش رضاها عما تلا النبي وقالوا : قد عرفنا أن الله يحيي ويميت ويخلق ويرزق ، ولكن آلهتنا هذه تشفع لنا عنده. أما إذا جعلت لها نصيبا فنحن معك. وبذلك زال وجه الخلاف بينه وبينهم، وفشا أمر ذلك في الناس حتى بلغ الحبشة ؛ فقال المسلمون بها : عشائرنا أحب إلينا ، وخرجوا راجعين ، فلما كانوا دون مكة بساعة من نهار لقوا ركبا من كنانة فسألوهم فقالوا: ذكر آلهتهم بخير فتابعه الملأ ثم ارتد عنها فعاد لشتم آلهتم فعادوا له بالشر ، وأتمر المسلمون ما يصنعون فلم يطيقوا عن لقاء أهلهم صبرا فدخلوا مكة !![54].

أما ارتداد محمد - كما يقولون - فبعد أن ذكر آلهتهم بخير كما تقول بعض الروايات فقد كبر عليه مدح قريش له بأنه ذكر آلهتهم بخير وجعل لهم نصيبا في العبادة، ولما عاد - النبي - لبيته أتاه جبريل فى المساء وقال له اقرأ سورة النجم ، فلما وصل إلى "تلك الغرانيق العلا..."قال له جبريل: هل أنا قلت لك هذا أو جئتك بهاتين الكلمتين ؟! ... ثم انزل الله عليه " وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لاَّتَّخَذُوكَ خَلِيلاً"[55].

هذه قصة الغرانيق باختصار ونقلا عن البعض [56]. وأشار دكتور هيكل إلى أن حديث الغرانيق رواه غير واحد من كتاب السير وأشار إليه غير واحد من المفسرين ، ووقف عنده كثيرون من المستشرقين طويلا . و هو حديث ظاهر التهافت ينقضه قليل من التمحيص وهو حديث يفتح باب التشكيك في عصمة الأنبياء في تبليغ الرسالات فمن العجب أن يتناوله بعض كتاب السير وبعض المفسرين ويبنون عليه ، فى حين أن ابن اسحاق أول من كتب السيرة حين سئل عنه قال: إنه من وضع الزنادقة[57].

وهنا استغلى المستشرقون وبنوا حججهم على بعض الهنات ..

١- أن الله قد وجه إلى محمد قوله: "وإن كادوا ليفتنونك" فذلك يدل على أن المشركين حاولوا فتنة النبي !.

٢- إلى أن قال: " وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ...."(الحج). وقال البعض أنهم فهموا كلمة (تمنى) بمعنى قرأ، وأخرون فهموها بمعنى الأمنية المعروفة

٣- ان المستشرق موير قد ايّد القصة ، وأيّد أن محمدا قد عقد صلحاً مع قريش بعدما تشددوا في التعذيب.....و فى قتل البعض والقائه فى الصحراء[58].

و يرد الدكتور هيكل على الفريقين من مؤرخي المسلمين والمستشرقين على السواء ويذهب إلى وهن القصة وضعفها بل يذهب إلى عدم صحتها لغدة أسباب ....

ا - تعدد الروايات فيها وذلك مثل "تلك الغرانيق العلا وإن شفاعتهن لترجى" ورواها أخرون "الغرانقة

---

53 .An-Najm, 53:19–20.
54 .Haykal, Muḥammad Ḥusayn, *Ḥayāt Muḥammad*, 141.
55 .Al-Isrā', 17:73–75; Haykal, Muḥammad Ḥusayn, *Ḥayāt Muḥammad*, 141.
56 . Ibn Sa'd, *Aṭ-Ṭabaqāt al-Kubrā* (Bayrūt: Dār Ṣādir, 1405 AH/1985), 1:188; Ibn al-Athīr, *Al-Kāmil fī at-Tārīkh* (Bayrūt: n.p., 1402 AH/1982), 2:52–53.
57 .Haykal, Muḥammad Ḥusayn, *Ḥayāt Muḥammad*, 141.
58 .Haykal, Muḥammad Ḥusayn, *Ḥayāt Muḥammad*, 143.

العلا إن شفاعتهم ترتجى" ورواية أخرى "وإنها لهى الغرانيق العلا" ... وغير ذلك من روايات مزورة لم تتفق روايه مع أخرى([59]).

٢ - سياق سورة النجم الذى لا يقبل انسجامه اللغوى دخول شذوذ لفظي كما جاء في سياق الغرانيق أو الغرناقة. واستعان الدكتور هيكل برأي الأستاذ الإمام محمد عبده([60]) الذى فند قصة الغرانيق العلا من حيث المنطق واللغة والسند والمتن مفندا ومفصلا([61])

٣- الافتراء على التوحيد ... إن محمدا صلى الله عليه وسلم تبنى التوحيد وناضل من أجله و هل فى التوحيد مهادنة أو تنازل بعض الوقت ؟([62])

ويرى دكتور هيكل بالإضافة إلى أسباب عودة المسلمين من الحبشة بإسلام عمر وحمزة ، فهو يرى أن ثورة عظمى قد قامت ضد النجاشي حيث أن رهبان الحبشة المتعصبين قد رأوا فى النجاشي عطفا على المسلمين ، ولم يكن بوسعهم المشاركة مع النجاشي فهم يعتبرون من الأجانب عن هذا البلد ...([63])

ولا شك أن المؤرخات الإسلامية قد نالتها أيدى العابثين الذين اخترعوا الموبقات كلها ويلقون بها إلى البسطاء الذين يسمعون ولا يعرضون ما يسمعون من الأخبار على عقولهم ولا يفحصونها قبل تصديقها ...([64]).

<u>الإسراء والمعراج</u>

حادثة الإسراء والمعراج الثابتة بالنص فى القرآن الكريم كانت إحدى القضايا التي تناوله المستشرقون بالطعن، والتى تناولها الدكتور هيكل بالذكر والبيان.ووضع هيكل عنوانا "الإسراء بالروح أم بالجسد" : جمع فيه باختصار شديد الرأيين فقال: "يستند الذين يقولون بأن الإسراء والمعراج إنما كان بروح محمد صلى الله عليه وسلم إلى حديث أم هانئ وهذا وإلى ما كانت تقوله عائشة رضي الله عنها : "ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن الله أسرى بروحه" وكان معاوية ابن أبى سفيان إذا سئل عن مسرى الرسول قال : "كانت رؤيا من الله صادقة". وهم يستشهدون إلى جانب ذلك كله بقوله تعالى" وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ"([65]) ، وفى رأى أخرين أن الإسراء من مكة إلى بيت المقدس كان بالجسد مستدلين على ذلك بما ذكره محمد صلى الله عليه وسلم أنه شاهد فى البادية أثناء مسراه مما سيأتي خبره (يقصد هيكل القوافل التجارية التي شاهدها النبى أثناء الإسراء) ، وأن المعراج إلى السماء كان بالروح ، ويذهب غير هؤلاء وأولئك إلى أن الإسراء والمعراج كان جمعها بالجسد.([66])

وعاد هيكل ليقول: "و لنا فى الإسراء رأى نبديه ، ولسنا ندرى أَسُبقنا إليه أم لم نسبق إليه"([67]) لكنه قبل الخوض فى رأيه جاء برأى المستشرق (د/منجم) الذي قرأ القصة من كتب السيرة وكتبها بأسلوك أدبى راق([68]) وذكر د/ منجم قصة الإسراء والمعراج. و لنا على مقاله بعض الملاحظات

59 .Haykal, Muḥammad Ḥusayn, *Ḥayāt Muḥammad*, 143–144.
60 .Imām Muḥammad ‘Abduh’s interpretation of Sūrat an-Najm in ‘Amāra, Muḥammad, *Al-A‘māl al-Kāmila* (Cairo: Dār ash-Shurūq, 1416 AH), 2:118 and onwards.
61 .Haykal, Muḥammad Ḥusayn, *Ḥayāt Muḥammad*, 144.
62 .Haykal, Muḥammad Ḥusayn, *Ḥayāt Muḥammad*, 145.
63 .Haykal, Muḥammad Ḥusayn, *Ḥayāt Muḥammad*, 143.
64 .Sha‘ūṭ, Ibrāhīm, *Abāṭīl Yajib an Tumaḥā min at-Tārīkh*, 54–55.
65 . Al-Isrā’, 17:60.
66 .Haykal, Muḥammad Ḥusayn, *Ḥayāt Muḥammad*, 162.
67 .Haykal, Muḥammad Ḥusayn, *Ḥayāt Muḥammad*, 162.
68 .Dormanjem’s opinion quoted in Haykal, Muḥammad Ḥusayn, *Ḥayāt Muḥammad*, 163.

اولاً : أنه ذكر أن النبى قد مر وهو راكب البراق وتوقف عند جبل سيناء حيث كلم الله موسى علي السلام، ثم ذهب إلى بيت لحم حيث ولد عيسى... ولا أعلم من أين جاء د/منجم بهذا؟ هل يبين تقدير النبى لموسى وعيسى أم ليبين مرجعيته الثقافية والدينية إليهما([69]).

ثانيا: يُشير بعد ذلك إلى أن محمدا صلى الله عليه وسلم وصل بيت المقدس ثم وضع دابته وصلى على أطلال هيكل سليمان، ومعه إبراهيم وموسى وعيسى .. ولا أعلم من أين جاء بصلاة النبي على هيكل سليمان ؟! فإن الدراسات تشير إلى أن هذا الهيكل مزعوم وأنه اختراع يهودي ليثبت

أحقية اليهود في المكان.

ثالثا : - ذكر د/ المنجم أن السماء الأولى كانت من فضة علقت فيها النجوم بسلاسل من ذهب وعلى كل منها ملك يحرسها .. وغير ذلك .. وأحسب أن د/منجم قد خلط : بين الرواية الواردة وبين خيال المتصوفين.

وجاء الدكتور هيكل ليقارن له بين رواية ابن هشام فى سيرته، وما كتبه د/منجم، وما تناولته بعض كتب التفسير وأظهر فيهم اختلافات كثيرة ويرى دكتور هيكل أن تعدد الآراء إن كان بالجسد دون الروح ، أو بالروح دون الجسد أو أن الإسراء بالجسد والمعراج بالروح فإن تعدد هذه الآراء لا يدعم هوة الاختلاف ، ولا يلقى باللوم على فريق دون الآخر فلكل فريق سنده وأدلته .. ويرى هيكل أن الأولى بالجميع أن يبحثوا عن الحكمة من الإسراء والمعراج([70]).

أما رأى الدكتور هيكل فقد ارتأى فى الإسراء كمالاً غير منقوص فيقول: " فهذا الروح قد اجتمعت فيه ساعة الإسراء والمعراج وحدة هذا الوجود بالغة غاية كمالها ، لم يقف أمام ذهن محمد وروحه فى تلك الساعة حجاب من الزمان أو المكان أو غيرهما من الحجب التى تجعل حكمنا نحن فى الحياة نسبيا محدودا بحدود قوانا المحسة والمدبرة....([71])

إن الدكتور هيكل كان متأثرا بالفلسفة وهو يبين رأيه في هذه المسالة، ويبدو كذلك أنه تأثر بآراء عدد غير قليل من المتكلمين.

ويعود الدكتور هيكل مرة أخرى إلى تفسير الإسراء والمعراج بالرؤية العلمية ، فهو يرى أن العلم الحديث يوافق على حادثة الإسراء والمعراج .. ويضرب مثلا بالنظرية العلمية التي اكتشفها ماركوني(١٨٧٤ – ١٩٣٧) مخترع الراديو الذي سلط تيارا كهربائياً ليحوله إلى قوة تبعث فى الأثير وتنقل الكلام .. فالقوة الروحية تترجم إلى قوة أعلى وهى قوة نقلت محمدا من بدايات الروح إلى كمالها فأعطت قوة سلطان لم تتح من قبل

وبعد فإن د/ هيكل قد تناول ذلك الأمر برؤياه العلمية ولا تنكر أن حياته الفكرية كان لها اكبر الأثر فى تشكيل رؤيته العلمية.

أزواج النبى صلى الله عليه وآله وسلم ومسألة زينب بنت جحش

بعد غزوة الخندق 5 هجرية وقبل غزوة الأحزاب تزوج النبى صلى الله عليه وسلم من زينب

بنت خزيمة ثم أم سلمة بنت أبى أمية بن المغيرة ثم تزوج زينب بنت جحش بعد أن طلقها زيد بن حارثة... هذه الأحداث استجلبت ثورة المستشرقين واتهموا محمدا صلى الله عليه وسلم بالإغراق في الشهوة ، "يسيل لعابه ولا يكفيه ثلاث نسوة فى بيته، بل يتزوج أولئك الثلاث اللائى ذكرنا ويتزوج بعدهن ثلاثا آخريات غير ريحانة... وهو قد شغف بحب زينب بنت جحش ، وقد زار يوما بيت زيد بن حارثة فلم يجده ، واستقبلته زينب فى ثياب تبدي

69 .Haykal, Muḥammad Ḥusayn, *Ḥayāt Muḥammad*, 163.
70 .Haykal, Muḥammad ḏusayn, *Ḥayāt Muḥammad*, 165.
71 .Haykal, Muḥammad Ḥusayn, *Ḥayāt Muḥammad*, 165.

محاسنها فوقع منها فى قلبه شىء لجمالها . فقال سبحان مقلب القلوب وسمعتها زينب ورأت فى عنيه وهج الحب ولما جاء زيد بعد انصراف محمد ، عاد له وأخبره أنه على استعداد لتسريحها ، فقال له النبى: "أمسك عليك زوجك واتق الله. لكن زينب لم تحسن من بعد عشرته فطلقها ، وأمسك محمد عن زواجها وقلبه في شغل بها حتى نزل قوله تعالى:" وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا(72) إذ ذاك تزوجها - محمد - فأطفأ بزواجها لاذع حبه ومتوهج غرامه(73)

هذه هي آراء المستشرقين الذين نسجوا وزادوا على الإثم آثاماً عظيمة .. ولم يكلفوا أنفسهم البحث الدقيق المعرفة الحقيقة ثم أكمل الدكتور هيكل نقل ما كتبه المستشرقون نقدا فى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "فأى نبى هذا ؟ وكيف يبيح لنفسه ما حرمه على غيره ، وكيف لا يخضع للقانون الذى يقول إن الله أنزله عليه ، وكيف هذا الحريم الذى يثير فى النفس ذكر الملوك المترفين بدل أن يثير فيها ذكر الأنبياء الصالحين المصلحين، ثم كيف يبلغ منه الخضوع لسلطان الحب فى شأن زينب حتى يصل بمولاه زيد إلى تطليقها ثم يتزوجها من بعده وكان ذلك محرما فى الجاهلية ، فأباحه نبى المسلمين إرضاء لهواه واستجابة لداعى حبه"(74).

وللأسف قد نقلوا أن زينب كانت مستلقاة على السرير فلعب الهواء بالأستار فرءاها محمد فوقعت فى نفسه، وقيل أنه رآها نصف عارية أو تكاد وقد انسدل شعرها على ناعم جسمها ... حتى تقولوا ما يسمى، وللأسف فإن من هؤلاء المستشرقين موير، و د/ منجم ، والأمريكي إرفنج ولامنس وغيرهم من المستشرقين وللأسف ، فهم نقلوا من بعض كتاب السيرة والحديث ثم نسبوا عليها الكثير من الخيال الأكاذيب(75).

وهذا الكلام الفارغ - وللأسف - قد نقله الطبري وابن الأثير حيث رووا أن النبى رأى شعر

زينب عليها حين حرك الهواء استار البيت فأعجبت النبى ، وكرهها زيد... (76) وكتب كذلك بعض المفسرين مثل ذلك(77)

ومن الكتاب المحدثين ما كتبه طه حسين !! حيث أشار إلى أن الله أراد أن يمتحن نبيه بمثل هذا فلقى فى قلب النبي الحب ...(78). وللأسف فإن الوزر الأكبر يقع على كتاب السيرة المسلمين وعلى من على شاكلتهم ثم على المحققين الذين تركوا التراث كل هذه المدة دون تحقيق و رد... لقد تناول صاحب كتاب حضارة العرب المستشرق جوستاف لوبون ونقل مثل هذا الكلام السخيف وزاد أن محمد لم يخف حبه للنساء..(79)

إن محمدا تزوج وعمره خمس وعشرون عاماً من السيدة خديجة وعمرها أربعون عاماً بقى معها حتى بلغ الثانية والخمسين بمعنى أخر لقد دفن فترة شبابه وقوته وعنفوانه مع امرأة تجاوزت

72 .Al-Aḥzāb, 33:37.
73 .Haykal, Muḥammad Ḥusayn, *Ḥayāt Muḥammad*, 257.
74 .Haykal, Muḥammad Ḥusayn, *Ḥayāt Muḥammad*, 208.
75 .Haykal, Muḥammad Ḥusayn, *Ḥayāt Muḥammad*, 208.
76 . Aṭ-Ṭabarī, *Tārīkh aṭ-Ṭabarī* (n.p.: n.p., n.d.), 2:562 (includes inappropriate additions unfit for an infallible prophet); Ibn al-Athīr, *Al-Kāmil fī at-Tārīkh*, 2:121.
77 . Abū as-Su'ūd, *Tafsīr* (Bayrūt: n.p., 1400 AH/1980), 4:212, refuting claims unfit for a Muslim, let alone the Prophet.
78 .Ḥusayn, Ṭāhā, *'Alā Hāmish as-Sīra* (Cairo: Dār al-Ma'ārif, n.d.), 3, under "Shawq al-Ḥabīb ilā al-Ḥabīb."
79 . Le Bon, Gustave, *Ḥaḍārat al-'Arab* (Bayrūt: n.p., 1399 AH/1979), 112.

من الشباب، وبعد وفاتها لم يتزوج الا بعد الثانية والخمسين فهل في حياة النبى مجال لهذا ؟[80]

إن لسان الغرب الطاعن حين اتهم محمدا صلى الله عليه وسلم بأنه مزواج يحب النساء لكونه تزوج بأمر ربه وجمع بين تسع نساء ، فلماذا خرست ألسنتهم ونبى الله داؤد عندهم في الكتاب المقدس ، تزوج أكثر من ألف أمرأة ؟ بل إن أمنون بن داؤد يعشق اخته ثامار ويغتصبها ويغضب أخوها الشقيق أبشالوم فيقتل أمنون[81].

وأخيرا .. الخاتمة

فإن دراسات المستشرقين طالما نالت من الإسلام ، ورد عليهم كثير من العلماء المخلصين..

ونحن لا ننكر جهد الدكتور هيكل في الرد وإن كان قد اتخذ أسلوباً علميا في الرد عليهم فإن ذلك أقرب لهم فى الفهم والاستيعاب ، فالغرب أقرب للإلحاد منه إلى الإيمان فهم قد عاندوا الكنيسة .. ومنهم من يحمل على كتفيه نصرة المسيحية على الإسلام .. والدكتور محمد حسين هيكل قد تناول فى كتابه فصلا عن المسيحية ورؤيتها وهو فصل يخدم علماء الفلسفة والأديان وجدير بالبحث والدراسة.

ولا يمكن أن نهاجم الدكتور هيكل على بعضه الهنات أو السلبيات التي وردت في منهجه أثناء الرد على المستشرقين فهو عالم في الرد عليهم مستخدماً منطق الفلسفة وعلم الكلام ممزوجاً بالمنهج العلمى للبحث وما يجب أن يكون ، فالبحث العلمى يقتضى التجرد من الأهواء والميول المتلون ، و يبحث المرء على التماس الدليل بما يرضى وجه الحق تبارك وتعالى . ولا بد للدارسين الذين يتتبعون دراسات الاستشراق أن يدركوا أن المستشرقين لم يتركوا شاردة أو واردة إلا جروا خلفها مستخدمين أسلوب الخبائث الفكرية .. فلو عثروا على نقيصة من وجهة نظرهم زادوا عليها من شياطين أفكارهم ، و دسوا ما لا يصح على الحادثة – كما رأينا - في زواج النبى صلى الله عليه وآله وسلم بزينب بنت جحش . وحتى الذين تناولوا الحادثة بحياد لم يخفوا ميولهم وأهواءهم فى الطعن على الإسلام ورسوله.

ويحمد للدكتور هيكل أنه لم يهادن هؤلاء المستشرقين فضلا عن اطلاعه على توجهات مدارس الاستشراق .. ونحن قد ألقينا الضوء على بعض مطاعن المستشرقين في سيرة نبينا آملين من الباحثين الجادين الاطلاع على ما يمكر به الأعداء راجين من الله القبول والسداد.

☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆

Bibliography / کتابیات

* Abū as-Su‘ūd. *Tafsīr*. Beirut: n.p., 1400 AH/1980.
* Al-‘Aqqād, ‘Abbās Maḥmūd. *‘Abqariyyat Muḥammad*. Cairo: Dār Nahḍat Miṣr, 1416 AH/1996.
* Al-Ghazālī, Muḥammad. *Difā‘ ‘an al-‘Aqīda wash-Sharī‘a ḍidd Matā‘in al-Mustashriqīn*. Cairo: Dār al-Kitāb, 1388 AH/1968.
* Al-Ghazālī, Muḥammad. *Fiqh as-Sīra*. Alexandria: Dār ad-Da‘wa, 1421 AH/2000.
* Al-Jiblāwī, Āmina. *Al-Islām al-Mubakkir, al-Istishrāq al-Anglosaksonī al-Jadīd: Patricia Crone wa Michael Cook Namūdhajan*. Cairo: Dār al-Jīl, n.d.
* ‘Amāra, Muḥammad. *Al-A‘māl al-Kāmila*. Cairo: Dār ash-Shurūq, 1416 AH.

80 -Haykal, Muḥammad Ḥusayn, *Ḥayāt Muḥammad*, 259.

81 Shalabī, ‘Abd al-Jalīl, *Radd Muftarayāt al-Mubashshirīn ‘alā al-Islām* (Riyadh: Maktabat al-Ma‘ārif, 1406 AH/1985), 51.

* ‘Arjūn, Muḥammad aṣ-Ṣādiq. *Muḥammad Rasūl Allāh*. Damascus: Dār al-Qalam, 1406 AH/1986.
* Ar-Rūbī, Āmal Muḥammad. *Tijārat Makka wa Ẓuhūr al-Islām*. Translated and edited by Āmal Muḥammad ar-Rūbī. Cairo: Supreme Council for Culture, 1438 AH/2017.
* Aṣ-Ṣallābī, ‘Alī Muḥammad. *As-Sīra an-Nabawiyya*. Cairo: Dār at-Tawzī‘ wan-Nashr al-Islāmiyya, 1423 AH/2002.
* Ḥusayn, Ṭāhā. *‘Alā Hāmish as-Sīra*. Cairo: Dār al-Ma‘ārif, n.d.
* Ibn Isḥāq. *As-Sīra an-Nabawiyya*. Beirut: n.p., 1408 AH/1988.
* Ibn Hishām. *As-Sīra an-Nabawiyya*. Edited by Hammām Abū Ṣa‘līk. Beirut: n.p., 1406 AH/1986.
* Le Bon, Gustave. *Ḥaḍārat al-‘Arab*. Beirut: n.p., 1399 AH/1979.
* Runciman, Steven. *Tārīkh al-Ḥamalāt aṣ-Ṣalībiyya*. Translated by as-Sayyid al-Bāz al-‘Arīnī. Beirut: n.p., 1398 AH/1978.
* Shalabī, ‘Abd al-Jalīl. *Radd Muftarayāt al-Mubashshirīn ‘alā al-Islām*. Riyadh: Maktabat al-Ma‘ārif, 1406 AH/1985.
* Sha‘ūṭ, Ibrāhīm. *Abāṭīl Yajib an Tumaḥā min at-Tārīkh*. Beirut: n.p., 1406 AH/1986.